

أضواء البيان

@ 295 . بَيِّنْ جَلَّ وَعَلا أن العباد ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون غير

مكتفين بتكذيبه ، بل جامعين معه الاستهزاء . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ } ، نص صريح في تكذيب الأُمة لجميع الرسل لما تقرر في الأصول ، من أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها { مِّن } ، فهي نص صريح في عموم النفي ، كما هو معروف في محلّه . .

وهذا العموم الذي دلَّت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات أخر ، وجاء في بعض الآيات إخراج أُمّة واحدة عن حكم هذا العموم بمخصّص متّصل ، وهو الاستثناء . .

فمن الآيات الموضحة لهذا العموم ، قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَدِرْفُوهُمْ وَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } ، وقوله تعالى : { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَدِرْفُوهُمْ وَإِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَى أُمّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ أَهْلِهِم بِأَلْبَابٍ سَاءَ وَالضَّرَّاءُ } ، إلى قوله : { فَأَخَذْنَا هُمْ بِغُرَّتِهِمْ } . .

وقد قدّمنا الكلام على هذا في سورة (قد أفلح المؤمنون) ، في الكلام على قوله تعالى : { ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمّةً رَّسُولُهُمْ كَذَّبُوهُ } . .

وقدّمنا طرفاً من الكلام عليه في سورة (الأنعام) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَّابِرًا مُّجْرِمِينَ } . .
وأمّا الأُمّة التي أُخرجت من هذا العموم فهي أُمّة يونس ، والآية التي بيّنت ذلك هي قوله تعالى : { فَلَوْلَا كَانَ تِيقَانُ قَرْيَةٍ إِذْ مَنَعَتْ فَذَفَعَهُمْ إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا مَنَّوْاْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَضَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ } ، وقوله تعالى : { وَأَرْسَلْنَا هُ إِلَىٰ مِيَاهِ نَزَّةٍ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَذَامَنُواْ فَمَتَّعْنَاهُمْ إِيْلَىٰ حِينٍ } ، والحسرة أشدّ الندامة ، وهو منصوب على أنه منادى عامل في المجرور بعده ، فأشبه المنادى المضاف . .
والمعنى : { خَامِدُونَ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ } تعالي واحضري فإن الاستهزاء بالرسول هو أعظم الموجبات لحضورك . { وَءَايَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ رُضُ الْمَيِّتَةِ } ، إلى

قوله : { أَفَلَا يَشْكُرُونَ } .